



الوقاية العربية والميثاق



محطة عطفا



3
91

لنحترقنا للطالب

الأستاذ الدكتور
عبد العزيز بن
يحيى بن
الاستاذ

الوحدة العربية والميثاق

بقلم محمد عطا

- ١ -

الجمهورية العربية المتحدة

تعتبر الجمهورية العربية المتحدة أكبر دولة عربية من حيث الطاقة البشرية فعدد سكانها يبلغ نحو سبعة وعشرين مليوناً ، ومن حيث الدخل القومي الذي وصل إلى نحو ١٤٠٠ مليون جنيه ، ومن حيث الميزانية التي بلغت عام ١٩٦٢ - ١٩٦٣ م ١٠١٢٦٢١٥٥٠ جنيه دون شركات القطاع العام ومن حيث إمكانياتها على الدفاع والكفاح ، ومن حيث تقدمها العلمي والفني ، ومن حيث مقدرة أجهزتها الاعلامية والثقافية ، ومن حيث ثروتها الزراعية والصناعية والتعددية ، ومن حيث سمعتها العالمية فهي صانعة الحضارات ، وهي أول مجتمع بشري متحضر هذا إلى أهمية موقعها الجغرافي والاستراتيجي ، وإيمانها العميق بقوميتها العربية وبخاصة في هذه الفترة التاريخية الحاسمة .

هذه الميزات الفارقة هي التي أرهبت إسرائيل ، وجعلتها تعيش في قلق وعدم استقرار ، وحالت بينها وبين تحقيق أطامعها التي تتمثل في أن يكون لها دولة تمتد من النيل إلى الفرات إذ أنها تعلم علم اليقين أن الجمهورية العربية المتحدة لن تتوانى في الهجوم عليها بعنف وقوة إذا ما سولت لها نفسها العدوان على أى شبر من أية أرض عربية .

وهي الميزات التي دفعت الجمهورية العربية المتحدة إلى أن تعتبر نفسها مسئولة مسئولة مباشرة كما يقول الميثاق ، في صنع التقدم وفي تدعيمه وحمايته ، وأن هذه المسئولية ، تمتد لتشمل الأمة العربية كلها ، .

على أن تقدم الأمة العربية أساساً في هذه المرحلة التي تقتضي منا استغلال جميع طاقاتنا وإمكانياتنا حتى نثبت للعالم أننا لسنا أمة متخلفة ، وأنها لسنا خطراً على البشرية عالة على العالم ، وحتى نحرز من أذهان الرأي العام العالمي ما بثته فيه تخرصات وأكاذيب الصهيونية العنصرية والاستعمارية من أننا ما زلنا نعيش عيشة بدائية وأنها ما زلنا نفكر بعقلية العصور الوسطى ، وأنها قوم معوقون للتقدم الشري .

هذا إلى أن تقدمنا في هذه المرحلة سيؤدي إلى أن نبنى جهودنا وننتقل بأقصى طاقاتنا وأن نصبح طاقة بشرية فعالة يمكنها الدفاع عن حقوقها والهوض بمسئولياتها .

- ٢ -

أمس الوحدة العربية

والوحدة العربية قد وجدت صداها في قلب كل عربي مخلص واع ، وأصبحت هدفا من أهداف القومية العربية ؛ فالأمة العربية كما يقول الميثاق « لم تعد في حاجة إلى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها . لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة ، وأصبحت حقيقة الوجود العربي ذاته » .

فالوحدة العربية قد استكملت عناصرها ، وتبناها من العوامل مالم يتبناها لاية وحدة أخرى فهي تقوم أولا وقبل كل شيء على الوحدة الثقافية التي تقوم على وحدة اللغة وعلى وحدة الفكر وعلى وحدة الفن بل على وحدة العادات والتقاليد والسلوك .

وهي تقوم ثانيا على وحدة التاريخ ؛ وحدة النضال العربي بل الوحدة السياسية والاقتصادية والدفاعية ؛ كانت كذلك في عهد الخلفاء ، وفي عصرى الدولتين الأموية والعباسية ، وتعرضت للحن في أيام العثمانيين وفي عصر الاستعمار الأوربي ، وهي قد دافعت عن نفسها لصد التار ، ودفع الصليبيين ثم التقت جيوشها أخيراً على ثرى فلسطين ، وسال الدم العربي دفاعا عن هذه الأرض العربية ؛ وفي كل بلد عربي يتذاكر الأبناء تاريخهم البطولي والنضالي ؛ هذا التاريخ الذى يشكل حجر الزاوية فى بناء وجدانهم

إن صح هذا التعبير والعرب في كل مكان لا يمكنهم أن يتخلوا
عن هذه الذكريات ولا أن يتخلوا من هذه الأحداث التي هي
جزء لا يتجزأ من ضميرهم الحى .

وهي تقوم ثالثا على وحدة الأمل وعلى الالتقاء على غاية
موحدة ؛ هذه الغاية هي « الوحدة » ، ولن تجد أى عربى يمارى في
هذه الغاية أو لا يؤمن إيمانا عميقا بالوحدة ؛ الوحدة هي أمل
العرب وهي مبتغاهم وهي طريقهم إلى العزة والمنعة ، ومستقبل
الأمة العربية متوقف على هذه الوحدة ؛ ومصير الأمة العربية
مرتبط بهـ فبعضه ببعض والكيان العربى كل لا يتجزأ فإذا اقتطع منه
جانب تأثرت جميع الجوانب ، واهتزت الأرض العربية كلها ؛
ويؤكد ذلك الواقع الحى في فلسطين المحتلة ؛ ومن أجل أولئك كله
لم يعد « الميثاق » الحقيقة حين قال :

« يمكن أن الأمة العربية تملك وحدة اللغة التي تصنع وحدة
الفكر والعقل .

ويكنى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ الى تصنع وحدة
الضمير والوجدان .

ويكنى أن الأمة العربية تملك وحدة الأمل الى تصنع وحدة
المستقبل والمصير .

- ٣ -

الصراع داخل الوطن العربي

وإذا كانت الوحدة هي الهدف الأسمى لكل الشعوب العربية ؛
فما بال هذه الوحدة لم تتم حتى الآن ؟ لقد أثار ذلك الوضع دهشة
الكاتب الإنجليزي أرنولد وينبي في محاضراته التي ألقاها في مصر
بمنوان « لماذا تأخرت وحدة العرب ؟ » فقال ما نصه : « ومن
الدهش حقاً أن إعادة الوحدة هذه لم تحدث حتى اليوم » .

ولكن هذه الدهشة ستزول حتماً عندما نرى أن الوطن العربي
تقسمه دول صنع الاستعمار حدودها صنعا ، وهذه الحدود المصطنعة
إنما كانت لأموال منها ؛ تقسيم مناطق البترول بين الدول الاستعمارية
الكبرى ، ومنها إيجاد عروش لمن أخلصوا للاستعمار في أثناء
الحرب العالمية الأولى ، ومنها تقطيع أوصال العالم العربي وتمزيقه
حتى يظل ضعيفا ، واهناً لا يقوى على دفع العدوان أو التخلص
من الاستعمار . ومن الطبيعي أن طبقة الملوك أو الطبقة الحاكمة التي
تفيد من سلطانها ومن أموال المستعمرين يهملها أولاً وقبل كل شيء .
أن تبقى على هذا السلطان ، وأن تحرص الحرص كله على هذه
الأموال حتى تعيش في أبهة وبذخ ورفاهية وبقاء سلطانها وأموالها
متوقف على الاستعمار الذي يحمي لها هذا السلطان ، ويغنى عليها

الأموال فهي ترتبط به وإن يكن ذلك على حساب شعوبها
أو مستقبل الأمة العربية .

ولاشك أن مثل هذا الوضع يقتضى صراعاً بين هذه الطبقة
وبين غالبية الشعب .

هذه الغالبية التي ترى قصوراً تقام ، وحرماناً تنتهك ،
وأموالاً تنفق على المبازل والمساخر والترف والآبه ، وانفصالاً
بينهم وبين حكامهم ، وترى دولاً عربية أخرى غيرت من وضعها
الاجتماعى الرأسمالى المستغل ، وأطاحت بالفروخ النخرة ،
وأخذت تقيم المشروعات التي تعود على الشعب بالخير ، بل بحياة
أفضل ، ومستقبل آمن مطمئن ، وترى العالم فى ثورة اجتماعية حيث
يؤصل للديمقراطية الحقّة ، التي تهض بالشعب وتعمل لخيرهِ ،
وتؤمن بحقوقه .

هذه الرؤية الكاشفة القريبة والبعيدة ملكت على الشعوب
العربية وجدانها ، وحثت بها إلى أن تحاول التخلص من وضعها
المتخلف ، وأن تعمل على هدم الرجعية وتقويض دعائمها ؛ وعلى هذا
الأساس قامت ثورة تموز (يوليو) سنة ١٩٥٨ فى العراق حيث
أطاحت بالملكية والرجعية وإن انحرفت عن الخط العربى الأصيل
وهو العمل للوحدة ، وهو الأساس الذى قامت عليه ثورة اليمن
التي أطاحت بحكم الأمراء ، وأنهت عهد الاستبداد والاستغلال .

على أن بعضهم يزعم أن الوحدة لن تتم لأن هناك خلافاً عنيفاً بين الحكومات العربية ، ولكن هذا الخلاف لا يلبث أن يزول بعد أن يتحرر كل شعب عربي من سيطرة الرجعية التي ربطت عجلتها بعجلة الاستعمار ؛ فمن كان يظن أن حكم عبد الإله ونورى السعيد سينقضى ويختفى إلى الأبد ؟ ومن كان يعلم بأن حكم آل حميد الدين سينتهى إلى غير رجعة ؟

إن عجلة التاريخ لن تمنحى إلى الوراء ، وإن الشعوب لا بد أن تقتصر ؛ والخلاف المزعوم إنما هو خلاف ظاهرى يخفى في طياته حقيقة الثورة الاجتماعية التي شملت الوطن العربى بأسره وإلى هذا يشير الميثاق بقوله :

« إن الذين يحاولون طعن فكرة الوحدة العربية من أساسها مستبدلين بقيام خلاقات بين الحكومات العربية ينظرون إلى الأمور نظرة سطحية .

إن مجرد وجود هذه الخلافات هو في حد ذاته دليل على قيام الوحدة .

إن هذه الخلافات تنبع من الصراع الاجتماعى فى الواقع العربى.. واللقاء بين القوى التقدمية الشعبية فى كل مكان من العالم العربى ، والتجمع الذى تقوم به العناصر الرجعية والانتهازية فى العالم العربى هو الدليل على وحدة التيارات الاجتماعية التى تهب على الأمة

العربية ، وتحرك خطواتها وتنسحقها عبر الحدود المصطنعة .

إن التقاء القوى التقدمية الشعبية على الأمل الواحد في كل مكان من الأرض العربية ، وتجمع القوى الرجعية على المصالح المتحدة في كل مكان من الأرض العربية هو في حد ذاته دليل على الوحدة أكثر مما هو دليل على التفرقة .

نعم إن الصراع القائم داخل الوطن العربي إنما هو صراع بين القوى الشعبية التقدمية وبين الرجعية المستغلة ، صراع بين الشعوب المطلعة إلى أن تحكم نفسها بنفسها وبين الفئة انقلبية الإقطاعية الاتهازية ، وهو صراع عنيف حاد . وقد كان عنفه وحدته لا من حيث الكثرة والقلة بل من حيث استعانة القلة بالدول الاستعمارية التي تساندها لأنها تحقق لها أطماعها في حقول البترول وفي ثروات الشعوب وفي السماح لها بإقامة قواعد عسكرية ، وهي في يدها السلطان والنموذ والمال والسلاح فهي تجند أجنادها من الوصوليين وضعايف القلوب ، ومن غلى الجهل عقولهم وأشدتهم لضرب الحركات التحررية وتشرد شموار المناضلين ، وتعذب ذوى المبادئ والأهداف القويمة ؛ وإلى ذلك أشار أرنولد توينبي في المحاضرة التي نوهنا بها سابقا وإن لم يفصح قال : « ورغم هذا هناك عناصر في عدد من الدول العربية قوية بما فيه الكفاية لتضع عقبات في طريق الوحدة ، وطريق الحصول عليها » .

- ٤ -

الجمعية والاستعمار

ولكن لم تحاول الرجعية والاستعمار الحيلولة دون الوحدة ؟
لقد حدث أن قامت وحدة بين مصر وسورية بإرادة شعبيهما
ثم تجمعت الرجعية والاستعمار وفي أذيالها الصهيونية لضرب هذه
الوحدة وفهم عراها . لم حدث ذلك ؟

حدث ذلك لأن الاستعمار يهيمه ألا تكون وحدة بين الدول
العربية على الإطلاق وهو مصر على موقفه منذ أن وضع قدمه
في هذه الدول بل قبل أن يضع قدمه فيها وكان يتمتر للانقضاض
عليها . لقد فعل ذلك حين توحدت مصر وسورية في عهد محمد علي
فأجبر على أن تتخلى عن هذه الوحدة وأن تعود إلى الانفصال
وعدم تجاوز حدودها وفعله بعد أن أعطى اليهود والموائيق في
أثناء حربه العالمية الأولى بالاحتلال تحت حكم موحد ثم شاء أن
يمزق ما كان متصلا ، وأن يقطع ما كان مترابطا ، وشاء حين أعطى
وعد بلفور ، وحين مكن لإسرائيل في فلسطين العربية ، وفعله
قبل ذلك حين استفتوا الشام فأقنوا بالوحدة ، وحدة سورية ولبنان
وفلسطين وما يسمى الآن شرق الأردن . وذلك حين قدمت اللجنة
الأمريكية لتعرف على مطالب الشامييين عقب الحرب العالمية
الأولى ، ولكنه ضرب برأى الشعب عرض الحائط وأقدم على

تمزيق الشام هذا التزيق المثير ، ولا شك أن الاستعمار حين يفعل ذلك إنما يحافظ على كيانه ، ويبقى على نفوذه .

أما الرجعية فلها شأن آخر هو أنها تعمل على أن يظل حكمها قائماً وإن يكن على أجساد الشعب العربي . وقد وجد الاستعمار أقوى معين حين لم يعد في استطاعته أن يحافظ على سلطاته بالقوة المسلحة فلجأ إلى قصور الرجعية يحتجى فيها ويدبر المؤامرات ويؤلها ويثيرها ، ويمدها بالمال والسلاح كما صنع في سورية حين الوحدة ، لقد جند دعايته وإذاعته وصحفه ومخابراته لقضم هذه الوحدة ، ولم يجد ما يؤيده ويشد من أزره غير الرجعية . فأن صدرت قوانين يوليو سنة ١٩٦١ التي تـقـلـم أظفار الإقطاع وتعطى للشعب حقه المختص ، وتمكن للعدل أن يأخذ طريقه ، وأن يضع يده على وسائل الإنتاج الكبرى حتى وجد الفرصة سانحة له وإذا هو يرسم الخطط ، ويدبر المؤامرات للرجعيين ويتسلل إلى قصورهم التي هي المرتع الخصب له حتى كانت النهاية التي نعرفها ، وحتى كان الانفصال ..

ولا شك أن الصهيونية كانت هي أيضاً من وراء ذلك كله ؛ فالصهيونيون يرون مصلحتهم الكبرى في إيجاد الفرقة في الوطن العربي إذ أنهم يؤمنون كل الإيمان أن بقاءهم في المنطقة متوقف على هذه الفرقة ، وأن طردهم منها متوقف أيضاً على عزل كل بلد عربي

عن الآخر . ومن هنا كانت تصريحات المسؤولين في إسرائيل بأن أى تغيير في وضع البلاد العربية كالاردن والحجاز وسورية إنما يعتبر تهديداً مباشراً لها وهى من أجل ذلك ستحارب لإبقاء هذا الوضع على ما هو عليه .

وقد صور الميثاق هذه الحقيقة تصويراً صائباً حين قال : « إن الاستعمار الآن غير مكانه ولم يعد قادراً على مواجهة الشعوب مباشرة ، وكان نخبؤه الطيعى بحكم الظروف داخل قصور الرجعية . إن الاستعمار نفسه دون أن يدري ساهم في تقرب يوم الثورة الاجتماعية ، وذلك حين توارى بمطامعه وراء العناصر المستغلة يوجهها ويحركها . »

إن الوحدة بين مصر وسورية كانت حركة شعبية في الصميم ، أما الانفصال فقد كان حركة رجعية . وإذا كانت الرجعية قد استعانت بالوصوليين والعسكريين الذين لا يمثلون إلا أنفسهم فإن مصيرها الهزيمة الماحقة ، وعودة الأمور الطيعية إلى ما كانت عليه فلا شك كما يقول الميثاق : « إن وحدة الأمة قد وصلت في صلابتها إلى حد أنها أصبحت تتحمل مرحلة الثورة الاجتماعية . »

ولا يمكن أن تدل أساليب الانقلاب العسكرى ، ولا أساليب الاتهازية الفردية ، ولا أساليب الرجعية المتحركة على شيء إلا على دلائلها بأن النظام القديم في العالم العربى يعانى جنون اليأس ، وأنه

يفقد أعصابه تدريجياً ، وهو يسمع من بعيد في قصوره المعزولة
وقع أقدام الجماهير الزاحفة إلى أهدافها .

لقد كان الانفصال درساً كشف الأساليب الاستعمارية
والرجعية تعلم منه النضال الشعبي العربي ، وآمن بأن عليه في هذه
المرحلة أن يواجه الاثنين معاً ، يواجه الرجعية فيعمل على تقليم
أظفارها ، وعلى المطالبة بالحد من نفوذها وسيطرتها وتملكها
لوسائل الإنتاج ويواجه الاستعمار بكشف خططه ومؤامراته
والحيلولة دونه ودون التحالف مع الرجعيين في كل بلد عربي .

وهذه المواجهة لن تكون إلا ثورية وبدون هذه الثورية
لن يقضى على هذين العدوين اللدودين للتقدم والتحرر ومضى
الثورة الاجتماعية في طريقها المرسوم ، وهذه المواجهة أيضاً تحتاج
إلى معرفة تاريخ الأمة العربية ومواقف الاستعمار والصهيونية منها ؛
ففي هذا التاريخ عظات وعبر . وقد أتينا على بعض هذا التاريخ
فيما ذكرناه من قبل ، وتحتاج كذلك إلى الحذر والتعقل والحكمة
وإلى أن يعرف النضال الشعبي أين يضع قدمه ، وكيف يدبر وكيف
يمضي في طريقه في أناة وصبر ويقظة ؛ وقد بين هذه الحقيقة
الميثاق في قوله :

« وليس من شك في أن الثورات الأصيلة تستفيد من حركات
خصومها في مواجهتها ، وتكتسب منها قوة دافعة .

إن الاستعمار كشف نفسه ، وكذلك فعلت الرجعية بتآكها
على التعاون معه ، وأصبح محتما على الشعوب ضربهما معاً ،
وهزيمتهما معاً ، تأكيداً لانتصار الثورة السياسية في بقية أجزاء
الوطن العربي ، وتدعيمها لحق الإنسان العربي في حياة اجتماعية
أفضل لم يعد قادراً على صنعها بغير الطريق الثوري .

والعمل العربي في هذه المرحلة يحتاج إلى كل خبرة الأمة العربية
مع تاريخها الطويل المجيد ، ويحتاج إلى حكمتها العميقة بقدر حاجته
إلى ثورتها ، وإرادتها على التغيير الحاسم .

- ٥ -

الوحدة لا تفرض

والوحدة لا تكون بالغزو والفتح ، وإنما تكون بالاختيار
المحض ؛ اختيار الشعوب العربية ؛ فإذا اجتمعت مشيئة شعبين أو
أكثر على الوحدة باركتها الشعوب العربية الأخرى ؛ وعلى هذا
فإننا نعتبر محاولة العراق ضم الكويت بالقوة محاولة غير طوعية
بل شاذة ولن تؤدي الهدف المنشود من الوحدة وهو أن تتم
بمشيئة الشعوب لا بالقسر والقوة ؛ وعلى هذا أيضاً نعتبر وحدة
مصر وسورية عام ١٩٥٨ وحدة طوعية لأنها تمت بإرادة الشعبين
التقاء إرادتهما .

والعكس صحيح فإننا نعتبر فسخ الوحدة عن طريق القوة أو
الانقلابات العسكرية أو الالتجاء إلى الرجعية أو الاستعمار عملاً
عدائياً للهدف الاسمي للقومية العربية وهو ، الوحدة ، وإننا نعتقد أن
الذي يفرض الوحدة هو تطور الشعوب العربية وتحررها فلن يتوانى
شعب عربي حر عن السعي إلى الوحدة العربية فنحن نعلم أن
الشعوب المتورة ، الواسعة الأفق تحاول في هذا العصر أن
تتكامل وأن تتوحد في الاقتصاد أو السياسة ، ومثالنا على ذلك
السوق الأوروبية المشتركة حيث وجدت الدول الغربية ألامناس
لها من أن تتوحد اقتصادياً تواجه الاخطار المحدقة بها وبخاصة من

الشرق الأوربي ، والوحدة الاقتصادية الدعامة الركينة للوحدة السياسية في المستقبل .

وقد قامت السوق الأوربية المشرقة نتيجة الخطر المحدق بالدول الأعضاء ، وقامت بمحض اختيار هذه الدول لا بالضغط عليها أو تجميعها بالقوة المسلحة كما حدث ذلك في عصر الفتوحات والحروب التي شنها نابليون أو شنها غيره من القواد العسكريين .
وكان الميثاق بعيد النظر حين دل على هذه الحقيقة فقال :

« إن الوحدة لا يمكن بل ولا ينبغي أن تكون فرضاً ، فإن الأهداف العظيمة للأمم يجب أن تكافأ أساليبها شرفاً مع غاياتها .

ومن ثم فإن القسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة .
إنه ليس عملاً أخلاقياً لحسب ، وإنما هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب من الشعوب العربية ، ومن ثم فهو خطر على وحدة الأمة العربية في تطورها الشامل . »

إن فرض الوحدة بالقوة فيه إزهاق لأرواح نحن في حاجة إليها لدفع مؤامرات الاستعمار والصهيونية ، وفرض الوحدة يؤدي إلى حزازات بين النفوس ونحن نعمل على صفاء القلوب ، وفرض الوحدة فيه إلهاء لنا عن الشاغل الأكبر الذي يشغلنا ؛ الصهيونية والاستعمار .

وعلى هذا فالعالم العربي يرحب بقيام أية حكومة وطنية في
أى بلد عربي كما يرحب الآن بقيام الجمهورية العربية اليمنية، والأمة
العربية ترحب بأية وحدة تم بين شعبين عربيين كما يذهب الميثاق
فيقول :

« إن أية حكومة وطنية في العالم العربي تمثل إرادة شعبها
وفضاله في إطار من الاستقلال الوطنى هي خطوة نحو الوحدة من
حيث أنها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الآمال النهائية في الوحدة.
إن أية وحدة جزئية في العالم العربي تمثل إرادة شعبين أو
أكثر من شعوب الأمة العربية هي خطوة وحدوية متقدمة ،
تقرب من يوم الوحدة الشاملة ، وتمهد لها ، وتمد جنورها في
أعماق الأرض العربية .

إن مثل هذه الظروف تمهد الطريق للدعوة إلى الوحدة الشاملة . »

- ٦ -

صورة الوحدة العربية

أما الوحدة فهل تكون وحدة كاملة أو تكون إتحاداً
فيدرالياً؟.

لا شك أن الوحدة إذا كانت كاملة يسرى على البلدين
المتحدين قوانين واحدة وتعملان بدستور واحد وتحت ظل حكومة
واحدة فهذا مثلنا الأعلى إذ أننا في ذلك الوقت سنفسى شعوبتنا
أو عليتنا وزترقي إلى الوضع العظيم ، إلى وضع أتنا أمة عربية ،
وأنا بلد واحد تعمل لمهدف واحد ، وتدافع عن كيان واحد .

أما إذا كنا سنعتمد إلى شكل « الإتحاد الفيدرالى » ، وإن كان
هذا الشكل فيه بعض الغموض في تعريفات فقهاء الدساتير فلا بأس
من ذلك وأما مثل الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن نهتدى
به كما يذهب أرنولد توينبي فيقول : « إتنا نجد أن العالم الحديث
قد جرب كثير أمن العقبات ؛ عقبات الوقوف في وجه الإتحادات
الإقليمية ، وقام بتجارب كثيرة للتغلب على هذه العقبات .

وإن عمل الرواد نحو الوحدة الإقليمية أعطى لنا مثلاً من
الآباء الذين كونوا الوحدة الأمريكية ؛ إذ أنهم بعد تحقيق
استقلالهم ، وضعوا الدستور الفيدرالى الحالى للولايات المتحدة

الأمريكية ، وتقبلوا به على عقبات الولايات الشمالية ، وهي ذات العقبات التي تقف في وجه الوحدة العربية اليوم^(١)

إن الصورة الدستورية للوحدة لا تهم قدر الاهتمام بالغايات الكبرى . وهي أن هناك أمة عربية موحدة الغايات والمقاصد والأهداف ، أمة موحدة في شئون الدفاع والاقتصاد والسياسة ؛ أمة لا يخرج فيها الجزء على الكل ولدينا مثال آخر فالاتحاد السوفيتي قد جعل من أوكرانيا وروسيا البيضاء دولاً ذات سيادة مستقلة ومع ذلك فلن يستطيع أحد أن يذهب أن هذه الدول خارجة على الكيان السياسي للاتحاد السوفيتي^(٢)

على أننا يجب أن نفهم أن مثل هذه الدول على الرغم من استقلالها الظاهري ، واستقلالها من حيث الوضع الدولي إلا أنها في نظامها الداخلي تتبع نظام الاتحاد السوفيتي .

وقد فطن الميثاق إلى هذه الحقيقة فقال :

«وليسست الوحدة العربية صورة دستورية واحدة لا مناص من تطبيقها ؛ لكن الوحدة العربية طريق طويل قد تتعدد عليه الأشكال والمراحل وصولاً إلى الهدف الأخير» .

واعتقد أنه ينبغي على أساندة الحقوق المتخصصين في القانون

(١) محاضرات أونولد توفتي ص. ٩٧. «نبر مجموعة» كتب اتفاقية

(٢) بحث في القومية العربية لمبد الرحمن البراز ص. ٥٥ .

الدستورى، وفى القانون الدولى أن يعكفوا على وضع الشكل الذى تقوم عليه الوحدة العربية فى المستقبل وأن تلزم بهذا الشكل الشعوب العربية؛ فالوحدة آتية لا ريب فيها، ولستنا نحن العرب الذين نقول بذلك بل إن منصفى الغرب يذهبون أيضاً هذا المذهب كأرسكين تشايلدرز إذ يقول: « بالرغم من كل العقبات يحتمل أن تنمو الحركة الرامية إلى مزيد من الوحدة، إلى أن يشهد العالم يوماً اتحاداً عربياً قوياً متعارفاً يشمل المنطقة العربية كلها،^(١) »

وأكثر منه تفاؤلاً أرنولد توينبى حين يقول: « إنكم تجدون فى نجاح الوحدة الأمريكية مصدر أمل وتشجيع للعالم العربى كله اليوم، وسريعاً أو فيما بعد — وإن كنت أأمل أن يتحقق ذلك سريعاً لا فيما بعد — سينتد العالم العربى بالتأكيد طالما أن الشعب العربى هذه الرغبة الصادقة فى الإتحاد، ومهما تدخلت أية قوة خارجية فإنها لا تمنع هذا الإتحاد إذا كانت لديه الرغبة الصادقة؛ وإذا اتحد العرب فإن مستقبلهم سيكون رائعاً؛ لأن الإتحاد قوة بكل تأكيد،^(٢) »

(١) حول العالم العربى ص ٢٠٦ فصل مجموعة « أخيراً » .

(٢) محاضرات أرنولد توينبى ص ٩٨ .

- ٧ -

الجمهورية العربية المتحدة
والوحدة

والجمهورية العربية المتحدة تؤمن إيماناً عميقاً بالوحدة فهي لم تتخل عن فلسطين في محتها عام ١٩٤٨ م وبعث بجيشها وبمطوعها للدفاع عن هذه الأرض العربية الحبيبة وحماية أهلها من أخطار الاستعمار والصهيونية ، وقامت بتضحيات غالية في هذه السيل ، ودافعت عن حق فلسطين في الإستقلال في المؤتمرات الدولية ، وفي المناسبات المختلفة . أعلنت إيمانها بهذا الحق في الأمم المتحدة ، وفي مؤتمر باندونج وفي مؤتمر بريوني ، وفي كل المؤتمرات التي عقدتها وأشاركت فيها ،

وهي لاتي عن إراز حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى أرضه السلية ، ودعم كيان فلسطين ، وتدريب جيش فلسطيني ليستطيع أن يسترد وطنه ، وأن يقاتل في أرضه هذه العصابات الصهيونية التي أقامها الاستعمار وحماها ومد لها كل معونة .

والجمهورية العربية المتحدة قد نصت في صلب دستورها الصادر في ١٩٥٦ على أنها جزء من الأمة العربية .

والجمهورية العربية المتحدة لم تتوان عن تحقيق الوحدة وتطبيقها تطبيقاً عملياً حين أراد شعب سورية هذه الوحدة ، وعلى

الرغم من كثير من العتبات التي رآها بناقب فكره الرئيس جمال عبد الناصر إذا كانت الوحدة فإنه قد قبلها ، وضحي كثيراً بوقته وجهده لدعم هذه الوحدة والتغلب على هذه العقبات ، ومن أبرزها التغلب على الخلافات الناشئة حول القيادات والرياسات.

والجمهورية العربية المتحدة إيماناً منها بأن الوحدة ينبغي أن تقوم على إرادة الشعوب وأنها لا تكون قسراً ، وعلى الرغم من الانقلاب العسكري الذي حدث وأنه لا يعبر عن مشيئة الشعب السوري فإن الجمهورية العربية المتحدة لم تشأ أن تقابل العنف بالعنف وأن تهدر دماء عربية زكية ، وأن تثير نوعاً من الحرب الأهلية ، وتركزت الأمر للشعب السوري نفسه ليصحح الوضع ، ويعيد الأمور إلى مجراها الطبيعي وإلى ما كانت عليه من قبل إيماناً منها بأن الوحدة آتية لا ريب فيها .

والجمهورية العربية المتحدة قد حمت ثورة العراق من تدمير الاستعمار السني ، ولم تتخل عن الحكومة الثورية بل أمدتها بالسلاح وعلنت أن أي اعتداء على العراق إنما هو اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة .

والجمهورية العربية المتحدة قد ناصرت ثورة الجزائر منذ عام ١٩٥٤ وقد أكدت هذه الحقيقة رئيس حكومتها الزعيم بن بيل ، ناصرتها بالسلاح ، وناصرتها بالمال وكان لسانها المعبر عنها في

الأمم المتحدة وفي المؤتمرات الدولية واعترفت بحكومتها المؤقتة وجعلت القاهرة مقرها .

ولم تغفل تهديد فرنسا ووعيدها إذا ظلت الجمهورية العربية المتحدة على مناصرة الثوار الأحرار ، ولم تكثرت بتحالف فرنسا مع إسرائيل ، ولم تأبه بتحالف فرنسا وإنجلترا وإسرائيل في عدوانهم المسلح السافر عام ١٩٥٦ بل إنها ضاعفت من هذه المؤازرة التي رأتها واجبا محتوما عليها ، وظلت إلى جانب شقيقتها الجزائر حتى نالت استقلالها .

وقد رأت الجمهورية العربية المتحدة أن استقلال الجزائر ينبغي أن يحمي فاهتت إليها الطائرات والأسلحة ، وأقرضتها أخيراً عشرة ملايين جنيه بدون أية فائدة وعلى أن يدفع القسط الأول منها بعد عامين حين سمعت نداء رئيس حكومتها إلى الدول العربية لمزيد المساعدة إلى الجزائر التي تضمد الآن جراحها وتلم شملها وتقيم كيائها ، وأمدتها بالفنيين من المدرسين وغيرهم حتى تحقق الجزائر أهدافها وتقف على قدميها وتطور مجتمعا ، ونحى استقلالها .

والجمهورية العربية المتحدة قد لبث نداء حكومة الجمهورية العربية اليمنية فأمدتها بالمعونة المخلصة غير المشروطة ، ووقفت إلى جانبها ، وعقدت معها دفاعا مشتركا ، وما زالت تعينها على تثبيت

دعائم استقلالها ، ودفع المؤامرات عنها ، مؤامرات الرجعيين والاستعماريين .

فعلت كل أولئك الجمهورية العربية المتحدة ، بل فعلت أكثر منه إيماناً منها بالوحدة الشاملة كما نص الميثاق الذي أصدرته أخيراً ليكون هادياً لها ورائداً فقال :

« وإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة ترى في رسالتها العمل من أجل الوحدة الشاملة ، فإن الوصول إلى هذا الهدف ليساعد عليه وضوح الوسائل التي لا بد من تحديدها تحديداً قاطعاً وملزماً في هذه المرحلة من النضال العربي ،

- ٨ -

الطريق إلى الوحدة

إن الطريق إلى الوحدة قد بدأت الآن تنكشف معالمه ؛ فأغلب الدول العربية قد أخذت تفضي على الإقطاع والرجعية ، وتقطع في هذه السيل خطوات لاشك فيها ، أى أنها أخذت تتقدم وتهض وتحاول أن تلحق بالركب الحضارى . وليس من ريب فإن الدولة الاشتراكية في الجمهورية العربية المتحدة قد كان لها الأثر العميق في هذا التغير والتطور ، وأنها كانت الرائدة في هذه الطريق .

هذا إلى أن الصيحات العالمية نحو النهوض بالشعوب كان لها أثرها أيضاً في نشر المذاهب الديمقراطية الاشتراكية ، وفي العمل من أجل رفاهية الشعوب ، وحياتها حياة أفضل وقد دوت هذه الصيحات بفضل المخترعات والكشوف الحديثة ، وتقدم وسائل المواصلات ، وقوة الأجهزة الثقافية ، وارتباط العالم ارتباطاً وثيقاً .

لقد أصبحت الشعوب لها أثرها الفعال ، وأصبح صوتها يعلو كل صوت وتحاول الرجعية إسكات هذا الصوت بتقديم بعض المسكنات ، ولكنها تخضع نفسها إذ أن المسكنات لم تعد تستطيع مقاومة تيارات الإصلاح الجارية ؛ فكل شعب من

الشعوب يقف الآن عن طريق الإذاعة أو الصحافة على مكاسب
الشعوب الأخرى ، ويتعرف على حقوقه فهو يطالب بالمزيد من
الإصلاح بل مزيد من التطوير .

ومع كل أرائك فإن الشعوب العربية مازال أغلبها يعاني
من القيود الغليظة التي يرسف فيها ؛ يعاني من الفقر الضارى ،
يعاني من المرض الناشئ ، يعاني من الجهل الخيم ، يعاني من الظلم
الجارى ، يعاني من الظلام الحالك .

لند ظل سنوات طويلة تحت سيطرة الاستعمار ؛ السيطرة
الفعلية أو السيطرة بطريق غير مباشر ؛ الاستعمار الذى خنق
اقتصادياته ، وقل مواهبه ، واستغل كنوزه وخيراته .

الاستعمار الذى حال بينه وبين المعرفة أو التعلم .

الاستعمار الذى ترك الممرض يمرح فى جنباته ، بأن هيا له التربة
الحصبة ، فالأجسام الضاوية لا تستطيع مقاومة ، والدواء الذى
يقضى على الداء لا يجد المريض الثمن الذى يدفعه فى شرائه والطبيب
المعالج قبل نادر أو ياهظ الآخر .

إن خطة الاستعمار كانت خطة مدمرة ، خطة قضاء على روح
الشعوب العربية ، خطة إفناء لها . خطة أن تظل فى قعر وعوز
وخوف وحاجة . خطة أن تظل هذه الشعوب مستضعفة ، غير
واقفة بنفسها . خطة أن تظل مسودة مغلوبة على أمرها .

ولم يكن الاستعمار وحده في هذه المنطقة وإنما كانت هناك الرجعية ، الرجعية المؤمنة بمحقق الشعوب وتدمير حياتها حتى تقيها وترقل في الحرير ، وتعيش عيشة ناعمة مترفة فهي تملك الأرض وتملكها لمن تشاء ، وهي تعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، وهي في يدها السلطة وفي يدها القوة ، وهي التي تحقق كل حركة تحريرية أو صوت ينادى بالعدالة والمساواة .

الرجعية التي لا تعترف بحق الشعوب في العيش ، وإنما تنهب الثروات المعدنية والثروات الزراعية وتنفقها في مبادلها وفي مناعها من غير حساب يحاسب أو ميزانية تدبر وتذاع في الناس . والاستعمار والرجعية تحالفتا على هذا الشرق العربي حتى أضعفاه ، ومصادمه وحاولا خنق روح الحياة فيه .

والاستعمار والرجعية لم تقتصرا على أن يسود الفقر في هذا الوطن العربي الكبير بل التجتا إلى خلق المنازعات وافتعال الخلافات ، وتأليب الأمر بعضها على بعض وإثارة الأقليات ، ونفت سموم الاحقاد بين الطوائف والمذاهب والديانات ؛ هذا بالإضافة إلى إقامة العروش الواهية والحدود المصطنعة ، وضرب العروش بعضها ببعض .

كل هذه روايب قد خلفها الاستعمار وشجعها الرجعية ، وباركتها الصهيونية . ولكن هذه الرواسب بدأت تذوب وتهار ،

وبدأت الشعوب تيقظ وتصحو إلا أن الوضع مازال يتطلب مزيداً من الحرص واليقظة ، مزيداً من الثورة حتى ينكشف في طريق الوحدة كل التكشف .

وإلى كل هذا أشار الميثاق في تركيز فقال :

« إن استعجال مراحل التطور نحو الوحدة يترك من خلفه ؛ — كما أثبتت التجارب — ، فجوات اقتصادية واجتماعية تستغلها العناصر المعادية للوحدة كي تطلعها من الخلف .

إن تطور العمل الوحيد نحو هدفه النهائي الشامل يجب أن تصحبه بكل وسيلة جهود عملية ملء الفجوات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة من اختلاف مراحل التطور بين شعوب الأمة العربية . هذا الاختلاف الذي فرضته قوى العزل الرجعية والاستعمارية . .

نعم إن استعجال هذا التطور في الوحدة بين مصر وسورية ، وفي الاتحاد بين الجمهورية العربية المتحدة وبين اليمن لم يؤد إلى استقرار الوحدة . فالرجعية في سورية والرجعية في اليمن قد كاتتا على حالهما من القوة ومن أجل ذلك كان الانفصال وكان انهيار الاتحاد .

إن هذين البلدين لم يحتملا قوة الدفع الثورى التى بنت في

قوانين ٢٣ يوليو عام ١٩٦١ هذه القوانين التي دعمت القطاع العام وجعلت أغلب وسائل الإنتاج في أيدي الشعب لمصلحة الشعب وإمكان رفع مستواه .

وعدم احتمالها إنما برده إلى قوة الرجعية فيها ، واشتداد سواعدها فاسيل إذن إلى فتح الطريق أمام الوحدة ؟ .

- ٩ -

التعبئة الفكرية

إن التبعة الفكرية التي نقصدها هي التبعة التقديمية التي تهيء الأذهان، وتفتح الأبصار وتوقظ المشاعر وتلهبها، وقد شاهد العصر الحديث حركات فكرية تهدف إلى رفع مستوى الشعوب، وإلى حق العامل في حياة حرة كريمة وإلى المساواة بين الأفراد. وإلى القضاء على الاستغلال في كل صوره، وإلى حق كل فرد في أن يؤمن على مستقبله وألا يعيش فريسة القلق وعدم الاستقرار وألا يكون نهباً للخواف وتراقص الأشباح فمن أين يأكل حين يتبطل أو حين يعجز أو حين يمرض أو حين يهرم؟ وكيف يقاوم الاستبداد والظلم؟ وكيف يستمتع بالحياة؟ وكيف يقضي فراغه؟ وكيف يحمي حقوقه؟ وما الواجبات التي يلتزم بها نحو إخوته ووطنه؟ الحركات الفكرية التي تحل مشكلات الاقتصاد وبخاصة في الدول النامية؛ الحركات الفكرية التي تخطط للمجتمع الحر المتناسك الحي؛ الحركات الفكرية التي توصل للحرية والعدالة وتمكن لسيادة السلام والتعاون بين البشر لخير البشر ورفاهيتهم.

هذه الحركات الفكرية أخذت تنتشر في قطاعات كبرى من المجتمع العالمي بل تطبق في هذه القطاعات وليس من ريب في أن مجتمعنا العربي بحاجة ملحة إلى نشر هذه الآراء المتحررة حتى تؤمن

بها الأمة العربية بأسرها ؛ والإيمان مرحلة أولى من مراحل الدفع
الثورى التقدمى فلا بد أن يؤمن كل فرد فى هذه الأمة العربية بهذه
المبادئ القويمة ، وأن يتعرفها على وجهها الصحيح ، وأن يفهمها
الفهم السليم الواعى ، وأن تقدم إليه بطريقة علمية أو أدبية أوفية
بالأسلوب الذى يؤثر فيه ويحمّله على الإيمان القويم .

ويحتاج ذلك أيضاً إلى تفنيد دعاوى المعارضين من الرجعيين
وأعوانهم والاستعماريين وأذنائهم ، هذه الدعاوى التى تسمح فى
الدين حيناً والدين منها براء ، والتى تقوم على التضييل والتلاعب
بالألفاظ ، وبأقوال زائفة مختلفة على صحابة الرسول عليه السلام
أو على تابعيهم مع أن شريعة العدل هى شريعة الله فى أى كتاب
سماوى بل فى أية دعوة إصلاحية .

ويحتاج كذلك إلى تقديم نماذج من الشخصيات التى ضحت
بأرواحها وأعراض الحياة فى سبيل مبادئها القويمة ، والدفاع عن
حريات إخوانهم ؛ الشخصيات البطولية الفذة التى ضربت أروع
الأمثلة فى سبيل تقدم البشرية والسمو بالنفس الإنسانية .

وتقوم بنشر المؤلفات القيمة أو تلخيصها أو تقديم أفكارها ؛
المؤلفات التى تدعو إلى الاشتراكية والديمقراطية ؛ المؤلفات التى
تعالج تثبيت حقوق الجبهة الشعبية ، وتجعل للشعب السلطة العليا ،
وتستعرض المظالم التى أحدثها الاستعمار والاستبداد والاستغلال

بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى استخدام كل الأجهزة الثقافية والاعلامية في التوعية بهذه المباني التقدمية ، يكون ذلك في صوت حديث أو عن طريق السينما أو عن طريق الإذاعة والتلفزيون أو عن طريق الصحافة أو عن طريق المسرحيات .
إن هذه الأجهزة ينبغي أن تخوض معركة الحرية ، معركة الاشتراكية ، معركة الحياة الكريمة ، معركة بناء مجتمع أفضل ، معركة الديمقراطية السليمة ، معركة العدالة الاجتماعية ، وأن تردد شعاراتها ، وأن تجند لها الأقلام وتحشد الجهود .

وإنى أعتقد أن الفن والحرية متلازمان ، وأن الفن الأصيل هو الذى يحيا في ظل الحرية والديمقراطية وأن خير ما قدم إلى البشرية من فن إنما كان في عصر الحريات المفتوحة ، العصر الذى لم يعرف التعصب أو الكبت أو الجبروت .

وأعتقد أيضاً أن الفن الحقيقى هو الفن الذى يزدهر بالشعب ، ويقدم إلى الشعب أما الفن الزائف فهو فن الصاونات ، الفن المتحلق ، الفن المصنوع .

إن الفن قرين الطبع لاقرب الصنعة والافتعال ، والفن والصدق توأمان .

فعلى الكتاب إذن ألا يهابوا خوض هذه المعارك التى يمكن فيها للحرية ورفاهية المجتمع .

وما أخرج المجتمع العربي في حاضره إلى أن يبني بناء جديدا
وأخى بالبناء البناء الفكرى فقد عاش هذا المجتمع زمنا طويلا
أسير أفكار رجعية قد علاها الصدا وسرت فيها البرودة ؛ أفكار
تنسب إلى عصور سوانف ، بل هى ترقد إلى العصور الوسطى ،
أفكار جامدة هامة لم تعد تسير العصر المتطور المتحرك .

ولا شك أن الأفكار لها أثر فى السلوك وفى المواقف وفى
الأوضاع فإذا كنت بعقلىة العصر الذى كان يردد أن الامبراطور
أو السلطان أو الملك هو ظل الله فى أرضه لا يمكن أن تسبح أن
السلطة ينبغى أن تكون فى يد الشعب ، وأن الشعب هو السلطة
العليا ، وأن الدخل ينبغى أن ينفق لخير المجموع والمرء الذى يؤمن
بالتعصب والآنانية لا يمكن أن يرجو الخير للبشرية ، أو أن يعتقد
مبادئ السلام أو يسلك سلوك المتسامح .

وفى هذا يقول الميثاق : : إن جهودا عظيمة وواعية يجب أن
تجه أيضا إلى فتح الطريق أمام التيارات الفكرية الجديدة حتى
تستطيع أن تحدث أثرا فى محاولات التمزيق ، وتتغلب على بقايا
التشيت الفكرى الذى أحدثه ضغط ظروف القرن التاسع عشر
والنصف الأول من القرن العشرين ، وما تركته دساتيرها
ومناوراتها من رواسب تحجب الرؤية الصافية فى بعض الظروف .

ومن الأفكار التي ينبغي أن تشر هي ضرورة الوحدة العربية
الضرورة التي يحتمها العصر الذي يسعى إلى التجمع ، الضرورة التي
تحتّمها حماية الوطن العربي من ترصص الصهيونية والاستعمار .
الضرورة التي توجب حشد القوى العربية ، وتجميع طاقاتها ليتمكنها
الانطلاق السريع ، والتقدم العظيم ، الضرورة التي تقضى بتنسيق
اقتصاديات البلاد العربية ، واستغلالها استغلالاً سليماً ، واستثمارها
لخير الأمة العربية بأسرها .

فالوحدة تقضى على التنافس الذي يضر باقتصاديات الوطن العربي ،
وبفصل هذا في وعي العلامة أرنولد توينبي فيقول : « طالما ظلت
التفرقة بين الدول العربية قائمة فإن مطار القاهرة سيظل ينافس
بيروت ، ومطار بغداد ينافس الكويت والبحرين »^(١)

وقد أخذ هذا الكاتب المنصف يعدد المزايا التي تعود على الوطن
العربي من وحدته الاقتصادية وهي مزايا كثيرة ، لست أدري كيف
يجهلها المواطن العربي ويردد الدعايات الاستعمارية التي تهون من
نأن الوحدة الاقتصادية !

إنه يرى أن الوحدة الاقتصادية إنما هي لخير العرب ، فهناك
مساحات من الأرض الخصبة في سورية مثلاً لا تستغل لقلة

(١) محاضرات أرنولد توينبي ص ٩٦ .

الأيدي العاملة ، وكذلك الشأن في ليبيا في الجبل الأخضر ،
والوحدة الاقتصادية تؤدي إلى تطوير الصناعة وازدهارها ،
والوحدة الاقتصادية يمكن أن تفيد من استثمارات البترول في
استغلال الأراضي الزراعية على نطاق واسع ، وإقامة المصانع حتى
يمكن في المستقبل عندما ينضب معين البترول أو يتخلى عن مكانه
لقوة أخرى قد تكون النرة ألا تهاز اقتصاديات هذه الدول التي
تعتمد الآن اعتمادا كليا على البترول .

إن الدعوة إلى الوحدة العربية واجب الدول العربية الأولى
ولا يفت في عزها الأخطار المحدقة بها أو الانفصالية التي أحدثتها
الرجعية في سورية بل إن ما حدث ينبغي أن يكون حافزا للبضى في
طريق الدعوة إلى الوحدة بأقصى قوة وحرارة وحماسة ، وأن
تحاول كل دولة عربية متحررة بمجهود المستميت التمكن لهذه الدعوة
وإيصالها إلى كل وطن عربي يحرم من حكمائه على التمسك بالشعوية
أو الإقليمية الضيقة فسؤايتنا خطيرة أمام الأجيال القادمة ، وفي
أيدينا تقديم الأجل الذي تم فيه الوحدة العربية الشاملة .

والجمهورية العربية المتحدة رأت أن تلتزم بذلك في الميثاق
الذي أصدرته فأعلسته في وضوح وصراحة فقالت : « والجمهورية
العربية المتحدة وهي تؤمن بأنها جزء من الأمة العربية لا بد لها أن
تنقل دعوتها والمبادئ التي تتضمنها لتكون تحت تصرف كل

مواطن عربي ، ولا ينبغي الوقوف لحظة أمام الحجّة البالية القديمة التي قد تعتبر ذلك تدخلا منها في شئون غيرها .

وفي هذا المجال فإن الجمهورية العربية المتحدة لا بد لها أن تركز على ألا تصبح طرفا في المنازعات الحزبية المحلية في أى بلد عربي ؛ إن ذلك أمر يضع دعوة الوحدة ومبادئها في أقل من مكانها الصحيح ،

- ۱۰ -

الاتحاد الاشتراکی العربی

ظل الفرد في الدول العربية حتى القرن العشرين غير متفاعل مع مجتمعه أو قائم بدور أساسي فيه ؛ فالحكومات أو الطبقات الحاكمة هي التي تسيطر ، وهي التي تصدر الأوامر وهي التي تقود ، أما بقية الأمة فعليها أن تنصاع وأن تتقاد ، وأن تنفذ ما تومره .

لم يكن الفرد له رأى في المشروعات التي تخطط له ، ولم يشترك في السلطات المحلية إلا بقدر ضئيل نافذ محدود ، ولم يكن له صوت مسموع في المجالس النيابية التي كان يسيطر عليها الإقطاعيون وأعيانهم الذين لهم الكلمة العليا في الأحزاب أو في مجالس المديریات أو المتصرفیات أو في المجالس النيابية . وهذا الوضع من تجاهل الأغلبية والانصراف عنها قد أدى بها إلى الإنعزال فكان لابد من العمل على إنعاشها وعلى السير بها إلى الطريق الذي يفتح لها مجال المشاركة في الحكم ، والمشاركة في الرأى وهذا الطريق لن يكون كما قال بحق أرسكين تشيلدرز في كتابه " الطريق إلى السويس " هو طريق الديمقراطية الغربية إذ أن هناك فروقا جذرية بين مجتمعى الشرق والغرب ، ففي الأخير نالت الجماهرة الشعبية حقوقها السياسية منذ أمد بعيد ، وهي سيدة نفسها ، وتعيش حياة أفضل

وأكرم ، أما المجتمع الشرقى فكما سبق أن أوجزنا اصطلاحات عليه عوامل وخطوب أفهسته عن السلطة ونخرت في عظامه ، واستنفدت أكثر طاقاته .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن المجتمع الشرقى كان قد تخلف قرونا في المجالات والقطاعات المختلفة فكان لابد من أن تقدم الحكومة الشعبية على إجراءات من شأنها القضاء على هذا التخلف في أقصر وقت مستطاع ، وهذه الإجراءات تتمثل في التطبيق الإشتراكي من السيطرة على وسائل الإنتاج وتقوية القطاع العام حتى يمكن أن تكون هناك عدالة في التوزيع ، وحتى يمكن أن تكون زيادة الإنتاج وإقامة عديد من الصناعات ، وزيادة الرقعة المنزرعة ، وكذلك زيادة المحصول ، واستغلال الثروة بأنواعها استغلالا مشرفا فعلا .

إننا نعلم أنه لن تكون حرية إلا إذا توافر الخبز لكل فرد تظله سماء الوطن ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من تحسين الأحوال المعيشية في المجتمع ، وتحرير المواطن من كل استبداد أو استغلال أو ذل أو خوف أى أن يؤمن المواطن على حاضره وعلى مستقبله وهذا ما تهدف إليه الدولة الاشتراكية وتعمل على تطبيقه ، وفي هذا الوقت يمكن أن يمارس الفرد حقوقه السياسية ، وأن يختار بمثليه الحقيقيين اختيارا حرا ، وأن تندفع عجلة التقدم إلى الأمام

وهذه هي الديمقراطية السليمة ، الديمقراطية التي يصبح الفرد فيها حراً ، وأن يصوت في الانتخاب إلى جانب من يرى فيه الكفاية والقدرة على الدفاع عن مصالحه وقد عرفنا أن بلادنا قد جربت ألواناً كثيرة من الديمقراطيات ؛ جربت الحزبية وجربت الانتخابات منذ عام ١٩٢٢ . حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وأخفقت الديمقراطية الغريبة المجلوبة لآل الشعب في ذلك الوقت لم تكن له الحرية السياسية ، ولم يتوافر له رغيـف الحـزب ، ولم يكن الفرد مطمئناً على غده أو حاضره . مع أن البلاد كانت تحكم حكماً إقطاعياً ؛ أى حكم القلة المستغلة على حين قد أهدرت مصالح غالبية الشعب وخفقت حقوقها .

أما كانت ديمقراطية زائفة ، وانتخابات صورية ، وكان لابد إذن من التفكير في نوع من الديمقراطية يناسب وضعنا ، وينبع من واقعنا ، ويمثلنا تمثيلاً صادقاً ، وجربنا أنواعاً في هذه الفترة الأخيرة جربنا هيئة التحرير ، وجربنا « الاتحاد القومى » . وكانت نتيجة التجربتين أن تسلل إلى هذه التنظيمات الوصوليون والانتهازيون والرجعيون ، فعوقروا ما كان ينبغي أن ينطلق ، وحاولوا تشويه جمال الحركة ، وعمدوا إلى النيل من قوة التنظيم والتشكيل . وفي ضوء نقدنا الذاتي ودراستنا لهذا الواقع أقنأنا « الاتحاد الاشتراكي العربي » بعد مناقشات طويلة ودراسات عميقة

متصلة سواء في اللجنة التحضيرية أو في المؤتمر الوطني للقوى الشعبية ، وجعلنا أول هدف من أهدافه :

« تحقيق الديمقراطية السليمة ممثلة بالشعب وللشعب ؛ لتكون الثورة بالشعب في أسلوبها ، وللشعب في غايتها وأهدافها ، .
و « الاتحاد الاشتراكي العربي ، يختلف كذلك عن « الاتحاد القوي ، في مدلول اسمه فالأخير يوحى بالمحلية أو الإقليمية أما الأول فهو يشير إلى مفهوم أعمق فهو « اشتراكي ، أى أنه يقوم على الشعب العامل ، وعلى « الثورية » لصالح الجماهير ، وهو « عربي ، وهذا امتداد له إلى كل بلد عربي ، وإذا كان « الاتحاد الاشتراكي العربي ، كما تحدده مقدمته من أنه « الطليعة الاشتراكية التي تقود الجماهير ، وتسبر عن إرادتها وتوجه العمل الوطني ، وتقوم بالرقابة الفعالة على سيره في خطه السليم في ظل مبادئ « الميثاق ، فإن الاتحاد قد أثبت امتداده وأكد اتساع نطاقه ، وإذا كان يقوم في ظل مبادئ « الميثاق فقد أشار الميثاق إلى أنه إذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تشعر أن واجبا المؤكد يحتم عليها مساندة كل حركة شعبية وطنية فإن هذه المساندة يجب أن تقبل في إطار المبادئ « الأساسية ؛ تاركة مناورات الصراع ذاتة للعناصر المحلية تجمع له الطاقات الوطنية وتدفعه إلى أهدافه وفق التطور المحلي وإمكاناته .

على ان الجمهورية العربية المتحدة قدرأت لزاما عليها دفع

المد الثورى فى البلاد العربية وذلك عن طريق د فتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية فى العالم العربى ، وكذلك رأت أنها د مطالبة بأن تتفاعل معها فكريا من أجل التجربة المشتركة ، و د فى نفس الوقت لا تستطيع أن تفرض عليها صيغة محددة لصنع التقدم .

وأعلنت بما لا يدع مجالا للشك د أن قيام اتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى أمر سوف يفرض نفسه على المراحل القادمة من النضال ،

والحركات الشعبية أقدر على مرونة الحركة ، وعلى قوة الدفع الثورى أكثر مما يمكن أن تصنعه الحكومات العربية ، فالحكومات العربية قد يكون بينها خلاف قائم على الأطماع أو المنافسات الاسرية أو الإلها والحكومات العربية قد لا تكون جميعها بدرجة واحدة من التحرر السياسى أو الاقتصادى مما يجعلها على خلاف فى الرأى أو الاتجاه أو التصرف ، وهذا قد بدا واضحا جليا فى طريقة معالجة د الجامعة العربية ، للقضايا السياسية بل إنه هو الذى جعل هذه الجامعة فى د مهب الريح ، ولاتلبث أن تنتقل من أزمة إلى أزمة ، وكثيرا ما اضطرب أمرها حتى أشفقنا من أن يطاح بها وذلك ما أشار إليه الميثاق فقال :

د إن الشعوب تريد أمليها كاملا ،

والجامعة العربية - بحكم كونها جامعة للحكومات - لا تقدر أن تصل إلى أبعد من الممكن ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الجامعة العربية قد تكون مرحلة من مراحل القومية العربية وانعكاساً لتفكير بعض القادة العرب في وقت ضعف الدعوة إلى القومية العربية ، أما اليوم فإن الجامعة العربية لا تعبر التعبير الصادق عن آمال الشعوب العربية التي اعتنقت مبدأ « الوحدة العربية » واخذت تعمل له بكل طاقاتها . ولم يعد يحرز عربي حتى الواغل في رجعيته على النيل من « الوحدة العربية » أو القول صراحة « بالإقليمية »

وقد كان أرسكين تشايلدرز أميناً صادقا حين ذكر في مناسبة إعلان الوحدة بين مصر وسورية « أعلن في الرابع من فبراير عام ١٩٥٨ في كل من القاهرة ودمشق عن قيام أول وحدة فعلية بين دولتين عربيتين ذواتي سيادة وقد استقبل بعاصفة ضخمة من الحماسة الأصيلة عند جماهير العرب في طول الشرق الأوسط وعرضه ^(١) .

إن هذا القول يمثل مدى ما يعلقه العرب من آمال كبار على تحقيق الوحدة الفعلية في الوطن العربي بأسره ، وهذا المدى العميق

(١) الطريق إلى السويس ترجمة خيرى حماد نشر مجموعة « كتب سياسية »

هو الذى حدا بهذا الكاتب العربى أن يعلن إيمانه بالوحدة العربية قاتلا . إن وحدة هذه الملايين من العرب قادمة حتما ، ولكنها قد تتأخر بعض الشيء ، وقد لا تكون فى شكل دولة جامدة مركزية الحكم تمتد من المحيط إلى الخليج . ولكن اليوم الذى سيثمر فيه العرب على الواقع السياسى والدستورى لحلمهم ولقوميتهم ، التى لا ترسم حدودها على الأرض بل فى القلوب والأرواح ، قادم حتما ولا ريب أن أمام العرب مهمة شاقة ، وعملا مجهدا وتفكيراً مضنيا وإصلاحا يجب أن يتحقق قبل أن يتحقق الحلم ، (١) .

(١) المصدر السابق ص ٢٦٢

فهرس

الصفحة	الموضوع
٣	١ - الجمهورية العربية المتحدة
٧	٢ - أسس الوحدة العربية
١١	٣ - الصراع داخل الوطن العربي
١٧	٤ - الرجعة والاستعمار
٢٣	٥ - الوحدة لا تفرض
٢٧	٦ - صوت الوحدة العربية
٣١	٧ - الجمهورية العربية المتحدة والوحدة
٣٧	٨ - الطريق إلى الوحدة
٤٣	٩ - التعبئة الفكرية
٥١	١٠ - الاتحاد الاشتراكي العربي



مطابغ الدار القومية

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٤ } تخفيض
٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ }

لجنة اخترنا للطلاب

عاطف البرقوقي : رئيس اللجنة

محمد عطا : مقرر اللجنة

أعضاء

محمود محمود
الدكتور حسين النجار
علي الجهبلاطي



مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع ميسيد - روض الفرج

٤١٠١٢ - ٤٠٧٥٣ } تلفون
٤٠٨١٤ - ٤٠٥٨٨ }

540

927

٢

١

الثنى ٤ قروش

العدد ٨٩